

إن القيم الإنسانية أساس في بناء شخصية الإنسان وتنظيم علاقته بمن حوله، فالعدل والرحمة والإحسان لا تكتسب معناها الحقيقي إلا حين تتحول إلى سلوك نراه في الحياة اليومية. فالعدل يجعل الإنسان منصفاً في حكمه وتعامله، والرحمة تدفعه إلى الشعور بالآخر ومساندته في ضعفه، أما الإحسان فيجعله قادراً على تقديم الخير من غير انتظار لمصلحة أو مقابل. وحين تتحول هذه المعاني إلى ممارسة يومية، تصبح القيم جزءاً من شخصية الإنسان، ويرتقي الإحسان بالإنسان أخلاقياً؛ لأنه يدفعه إلى تجاوز حدود الواجب نحو فعل الخير بإرادة صادقة. وليس الإحسان دائماً مالياً يُعطى أو مساعدة مادية تُقدَّم؛ فقد يكون كلمة طيبة لإنسان يمر بوقت صعب، أو وقوفاً إلى جانب شخص يشعر بالوحدة والحاجة. وتزداد قيمة الإحسان حين لا ينتظر صاحبه شكراً أو شهرة أو منفعة، وإنما يفعله لأنه يؤمن بأن الخير يستحق أن يُفعل. وهنا تظهر قيمة الإنسان الحقيقية في قدرته على أن يمنح الآخرين شيئاً من وقته واهتمامه ورحمته. وتسهم القيم الإنسانية في تحقيق التوازن والسلام في حياة الإنسان، سواء في علاقته بنفسه أم في علاقته بالآخرين. فالعدل مع النفس يعني أن يعرف الإنسان قدراته وحدوده، وأن يوازن بين حقوقه وواجباته، وبين ما يرغب فيه وما يستطيع تحقيقه. أما في علاقته بالآخرين، فإن الإنصاف والرحمة والتسامح تساعد على قبول الاختلاف وتجاوز كثير من أسباب الخلاف. وإنما قد يبدأ من موقف صغير يختار فيه الإنسان الحوار بدل الخصام، حين يشعر الفرد أن حقه محفوظ وكرامته مصونة، يزداد شعوره بالأمان والانتماء. وحين يثق الناس بعضهم ببعض، يصبح التعاون بينهم أسهل، وتكون قدرتهم على مواجهة الأزمات أكبر. وكذلك فإن الدولة التي تحمي حقوق أفرادها، تزداد ثقة المواطنين بها. أما حين يسود الظلم وتغيب الرحمة، فإن الروابط بين الناس تضعف، ويحل الشك محل الثقة، فما قيمة العلم إذا استُخدم للإضرار بالآخرين؟ وما قيمة القوة إذا تحولت إلى وسيلة لظلم الضعيف؟ إن ما يبقى من الإنسان في ذاكرة من عرفوه هو في كثير من الأحيان موقف أنصف فيه مظلوماً، أو رحمة خفف بها ألم محتاج، أو خير قدمه من غير انتظار للمقابل. وكذلك لا يقاس تحضر المجتمعات بما تمتلكه من مبانٍ وتقنيات فحسب، بل بالطريقة التي تصون بها كرامة الإنسان وتحفظ حقوقه. فإن العدل والرحمة والإحسان هي قيم تمنح الإنسان إنسانيته الحقيقية، وترتقي بالمجتمع نحو مزيد من التحضر والرفق.